الترجمة ونظرية التأويل
شعرية ومسرجانات الهرمينوطيقا

حفناوي بعلي
جامعة عنابة

مرجعيات التأويل .. الهرمينوطيقا

تترجم عادة كلمة herméneutique بـ " فن التأويل " ، وتعني فن تأويل وتفسير النصوص بتبيان بنيتها الداخلية والوصفية ووظيفتها المعيارية والمعرفية ، والبحث عن حقائق مضمرة في النصوص ، وربما المطموسة لاعتبارات تاريخية وإيديولوجية ، هو ما يجعل فن التأويل يلتمس البدايات الأولى والمصادر الأصلية، لكل تأسيس معرفي وبرهاني وجدلي .وهي الدلالة التي يمنحها " لسان العرب " لابن منظور : " التأويل المرجع والمصير ، مأخوذ من آل يؤول إلى كذا أي صار إليه " . (1)

وتطلق كلمة " هرمينوطيقا " على الاتجاهات المختلفة ، التي يعتنقها بعض الفلاسفة والمفكرين ، الذين يعطون اهتماما خاصا لمشكلات " الفهم " ، و" التأويل " أو التفسير ، فالكلمة إذن تصدق على نظرية التفسير ومناهجه .واللفظ اليوناني المستمدة منه يشير في وقت واحد إلى عملية الكلام وعملية التفسير ، مما قد يعنى أن الكلام هو طريقة " يفسر " بها الشخص أفكاره للآخرين ، وإن كانت الهرمينوطيقا تعني في الاستعمال الفلسفي والأكاديمي تفسير النصوص .

وتاريخيا ، ارتبط التأويل " الهرمينوطيقا " في البداية بمحاولات تفسير أعمال هوميروس والشعراء الإغريق ، وبذلك ارتبط التفسير بالفيلولوجيا (علم اللغة) وبنقد النص ، ثم ارتبطت بإشكالية قراءة النصوص اللاهوتية والنصوص المقدسة، المنطلقة من

" تواز أو موازنة بين معنيين : المعنى الحرفي وهو العهد القديم ، والمعنى الروحي وهو العهد الجديد .وقد تجاوز هذه الثنائية إلى ثلاثية فرباعية ، وهي : أن النص يحتوي على المعـــنى الحرفي أو المعنى التاريخي ، والمعنى الأخلاقي ، والمعنى الصرفي أو المعنى الروحي ، أو على معان أربع وهي : المعنى الحرفي والتمثيلي والخلقي والغيبي ".(2)

هـــذا الأمر دفع أحد اللوثريين ،وهو " ماتياس فلاسيوس " إلى الثورة على سلطة الكنيسة في مسألة مصادرة حرية قراءة النص المقدس ، ليقترح أولوية التراث في تأويل بعـــض المقـــاطع الغامضة من النص وطابع الاستقلالية في فهم محتوياته بعزل عن كل إكراه أو توجيه قسري .

إذن يعـــود الفضل إلى " فلاسيوس " في تأسيس حلقة فن التأويل ، والتي تنقل من الفهم الشامل والكلي للمعنى ، الذي يختزنه النص إلى فهم أجزاء هذا النص.وعليه ينشأ تـــأويل شـــبه دوري يستند فيه الفهم الكلي على فهم أجزائه وعكسه، فمثلا تأويل الإنجيل ينبغـــي أن يفهم كل كتاب وكل مقطع ، انطلاقا من الدلالة العامة لمجموع الكتب ، وهذه الدلالة الشاملة تتشكل بالاستناد إلى فهم كل جزء على حدة .

هـــذه الإزاحة التي مارسها فلاسيوس في قضايا تأويل وفهم النصوص ، بعيدا عن الإطار الإيديولوجي والسياج الدوغمائي المغلق الذي تنحصر فيه ليس كافية ، لأن هناك عوامـــل أخـــرى أغفلها فلاسيوس ، وهي قراءة كل كتاب على ضوء مختلف الظروف التاريخية والاجتماعية والسياقات والاستعمالات اللغوية . (3)

ما هو الموطن والمكان الأولي لقيام التأويل – الهرمينوطيقا – وانتشاره ؟

فقي البداية ، كان الأمر يتعلق في الثقافة الغربية اليهودية المسيحية ، بقانون النص التوراتي : هذا المكان حاسم الذارة بحيث، إن عددا كبيرا من الباحثين يحاول جعل التأويل مماثلة لشرح التوراة ، وإعادة تأويل الأحداث والشخوص وفي مؤسسات التوراة العبري ، هذا إذا استخدمنا مصطلحات إعلان المسيحية فيما بعد، وعلى يد الأحبار اليونانيين وكل

الهرمينوطـيقا الوسيطية ، التي كتب تاريخها الحبر " لوباك " ، ثم تأسيس الصرح المعقد للمعانـي الأربعة للكتاب المقدس.وأخيرا ، لقد أصبح التأويل في العصر الحديث ، يعني ترجمة دلالة سياق ثقافي معين إلى سياق ثقافي آخر ، وفق قاعدة مفترضة لتكافؤ المعنى. وفي هذا المستوى يلتحق التأويل التوراتي بصيغتي تأويل الآخرين .وبالفعل فمنذ عصر النهضـة ، وانطلاقـا مـن القرن الثامن عشر خصوصا ، شكلت فيلولوجيا النصوص الكلاسيكية حقلا ثانيا للتأويل مستقلا عن التأويل السابق ، بحيث كان استرداد المعنى في المرحلتين معا ، يسعى إلى أن يكون إعلانا لشأن المعنى نقلا أو ترجمة .

وبعـبارة أخـرى يمكـن تعـريف الهرمينوطيقا بأنها فن " القراءة " ، أي فن حل النصـوص وتفكـيكها والكشـف عـن معانـيها .والـذي أضافه المفكرون المحدثون الهرمينوطيقـيون ، هـو أنهـم عملوا على مد فكرة " النص " إلى كل مجالات الوجود الإنسـاني ، واعتبار الحياة نفسها نوعا من " النص " أو على شيء يشبه النص ، الذي يمكـن قراءته وتوضيحه وإبرازه ، وأن ذلك يتم بطريقة تشبه الطريقة ، التي يفسر بها التحليل النفسي معنى الأحلام .

ويقـوم مـنهج التفسير في أساسه على افتراض أن الكلام له معنيان ؛ أحدهما هو المعنى الظاهر والآخر هو المعنى الخفي أو المستتر أو الباطن ، مما يعنى أن اللغة لها هـي أيضا وظيفتان ، إحداهما هي التعبير والأخرى وظيفة رمزية ، تتطلب البحث عما ترمـز إليه .وقد تعود هذه التفرقة إلى قيام اتجاهين في التفسير : الاتجاه نحو استرجاع المعـنى وإعـادة بـنائه ، وهو الذي يتبعه رجال الدين الذين يهتمون باسترجاع المعنى الأصلي للرموز في " العهد الجديد " .والاتجاه الآخر يقوم على الشك ويضم مفكرين من أمـثال نيتشه وماركس وغيرهم ، ممن يهتمون بتحليل أو تجزئة المعنى ، وليس تجميع الأجـزاء كما هو الشأن في الاتجاه الأول ، ورد ذلك المعنى إلى عوامل ودوافع كامنة وخفية .

وهكذا أمست مهمة التأويل تقوم على الاقتراب من هذه الهوية الدلالية المفترضة ، وذلك بالاعتماد على وسيلتين وحيدتين هما : عملية نزع هذا المعنى من سياقه ووضع في سياق جديد .وتعد الترجمة بالمعنى الواسع للمصطلح بمثابة نموذج لهذه العملية . (4)

ويـــرجع الفضـــل لـــ " شليرماخر " schleiermacher في أنه أول من عمل على توســـيع دلالـــة " الهيرمينوطيقا " فيما وراء نطاق اللاهوت ، أو المشكلات الجزئية في تفسير النصوص الدينية ، بحيث أصبح المصطلح يمتد ليشمل علوم التفسير : كالفيلولوجيا والقانون والتاريخ إلى جانب تفسير النصوص الدينية .وهي الأنظمة الأربعة التي انشغلت بهـــا الهيرمينوطـــيقا أو فـــن التفسير التأويل حتى القرن التاسع عشر .وبذلك فإن إسهام شـــليرماخر ، كان بمثابة محاولة أولى لتأسيس الهيرمينوطيقا ، بوصفها نشاطا عاما في التفسير يقوم على الفهم . ومع ذلك فقد ظل تفسير النصوص الدينية هو ما يشغل اهتمام شـــليرماخر فـــي المقام الأول.ولذلك فإن " جادامير " رغم اعترافه بفضل شليرماخر في تأسيس الهرمينوطيقا كنظرية عامة في الفهم ، إلا أنه يرى أن شليرماخر قد جعل اهتمام اللاهوتي نصب عينيه بوضوح ، قاصدا أن يجعل من هرمينوطيقاه – كنظرية عامة في فن الفهم – ذات فاعلية في العمل الخاص المتعلق بتفسير الكتاب المقدس . (5)

فالحركة بدأت إذن على أيدي علماء الكلاسيكيات واللاهوت ، الذين حاولوا وضع قواعد تحكم التفسير الصحيح للنصوص الكلاسيكية والدينية الأساسية ، ولكنها لم تلبث أن اتسعت وامتدت لتشمل النصوص الأدبية وغيرها ، بل وتجاوزت هذا المجال إلى مجالات علـــم النفس والاجتماع والانتروبولوجيا والتاريخ وبقية العلوم الإنسانية ، على أساس أن الحـــياة الإنســـانية عملـــية تضفي معنى على الأشياء ، ولذا تحتاج أن تقرأ بقصد الفهم والتأويل والتفسير .

بلاغة وشعرية التأويل – الهرمينوطيقا –

لا شك أن الهرمينوطيقا ، تمثل الآن واحدا من التيارات الأساسية السائدة في الفلسفة المعاصـــرة ، ولا شـــك أيضـــا أن هذا التيار أو الاتجاه الفلسفي ، قد تشكل في صورته المعاصـــرة داخل الفلسفة الألمانية ؛ بدءا من شيلرماخر ودلتاي إلى غادمير . فحتى بول ريكور ، يعد من أبرز أعلام هذا التيار في فرنسا ، يبدو من حيث أصوله الفكرية أقرب إلى الفلسفة الألمانية منه إلى الفرنسية ، وإلى محاولات الإيطالي امبرتو إيكو .ومع ذلك فقد قدر لهذا التيار أن يحتل مكانا بارزا في الفكر الفلسفي المعاصر ، ربما بسبب مرونته واتســـاع أفقه ، الذي أتاح له أن يتخطى حدود الفلسفة بمعناها الاصطلاحي ، ليخترق ما يسميه الألمان ب" علوم الروح " التي تشتمل العلوم الإنسانية والاجتماعية ، وهو المجال الواســـع الـــذي شـــغل اهـــتمام دلتاي مثلما شغل غادامير .وربما أيضا بسبب الزيارات المـــتكررة لكثـــير من أعلام هذا التيار من المعاصرين إلى الولايات المتحدة ،مما أتاح ظهور ممثلين محدثين له من أمثال ريتشاردرورتي .

لقـــد تبين إذن الحقل المعرفي ، الذي يشتغل عليه فن التأويل في فحص النصوص داخلـــيا وربطها بسياقها العام خارجيا ، وأنه يطمح أي فن التأويل إلى درجة العالمية ، بحكـــم أنه يتجاوز التصور الكلاسيكي لفهم النصوص ومستويات الحقيقة ، التي تتضمنه إلـــى فهـــم الظواهـــر الاجتماعـــية والســـلوكات والأحداث التاريخية والإبداعات الفنية والجمالية.هذا التحول الذي شهده فن التأويل ابتداء من مع " شليرماخر "، الذي اعتبر أن الفهـــم لا يرتبط بإدراك الحقيقة التي تنطوي عليها تصريح أو تأكيد ، بقدر ما يبحث عن الشـــروط الخاصة الكامنة في التعبير ، الذي بلوره هذا التأكيد أو التصريح ، بمعنى أنه يميز بين فهم " محتوى الحقيقة " و "فهم المقاصد " .

وعليه يميز شليرماخر بين منهجين في الممارسة التأويلية : (6)

1 – مـنهج قواعـد اللغـة ، الذي يعالج النص أو أي تعبير كان انطلاقا من لغته الخاصة (لغة إقليمية ، تركيب نحوي ، شكل أدبي) ، وتحديد دلالة الكلمات انطلاقا من الجمل ، التي تركبها ودلالة هذه الجمل ،على ضوء الأثر في كليته : التأويل اللغوي إذن إيجاد المعنى الدقيق لخطاب معين انطلاقا وبمساعدة اللغة .

2 – منهج التأويل النفسي، والذي يعتمد على بيوغرافيا المؤلف، حياته الفكرية والعامة والدوافع ، والحوافز التي دفعته للتعبير والكتابة، فهو يموقع الأثر أي النص في سياق حياة المؤلف، وفي السياق التاريخي الذي ينتمي إليه .

يتجاوز " دلتاي " **dilthey** صرامة المنهج عند شليرماخر ، ليركز جهوده على مفهوم التجربة ، فهو يميز بين نوعين من التجربة :

1 – التجربة المعيشة ، التي استعملها في وصف علوم الفكر أو العلوم الإنسانية .

2 – التجربة العلمية ، التي تخص علوم الطبيعة وهذه التجربة تتمتع بطابع " العلمية" ، الذي يجعل من التجربة المعيشة والتجربة الممارسة وجهين لنفس الحقيقة ، وبطابع الجدلية والتاريخية .

يواجـه دلـتاي مشكلة فهم تجربة الآخر باقتراحه لمفهوم الفكر ، أو الروح كسياق معياري وعام ، يجمع الأفراد حول حياتهم الخاصة ، ومن ثم تاريخ حياة الفرد لا يتماشى وفق محور أفقي ، يدمج إطاره الاجتماعي والتاريخي . يكون بذلك دلتاي ، قد أنزل الفكر – فـي مفهومـه الهيجلـي – مـن السماء إلى الأرض ، ليدل لا على المعرفة المطلقة والمتعالـية على التاريخ ، وإنما على معرفة تاريخية ومتجذرة في تجربة الحياة : فالفن والديـن والفلسـفة والعلوم والمنطق ، ليست معارف أو أشكال معرفية مذابة في معرفة مطلقـة ومغلقـة ، وإنما من تجارب حيوية واستعمالات تعبر عن الطابع الخلاق للحياة وتجليات الفكر التاريخي . (7)

حسب " هانس -غيورغ - غادامير "H.G.Gadamer لم يفلح " فن التأويل الرومانطيقي " ، كما رسم معالمه شليرماخر ودلتاي في فحص بنية الفهم ، ووظيفته التأويلية في ميدان العلوم العلوم الإنسانية والممارسات الاجتماعية والتاريخية ، فهو يميز بين نوعين من الفهم : (8)

1 – الفهم الجوهري ، وهو فهم محتوى الحقيقة التي تتكشف بقراءة النصوص .

2 – الفهم القصدي ، وهو فهم مقاصد وأهداف المؤلف .

لتوضيح فكرة الفهم (الجوهري / القصدي) ، يلجأ غادامير إلى تجربة الفن، كتجربة تتجلى فيها حقيقة الآثار الفنية على ضوء المقاصد ، والأطر الفردية والاجتماعية والتاريخية في تشكيلها كجملة من شروط معقدة ومتعددة الأبعاد.فالأثر الفني يدخل في سياق الاهتمامات الخاصة للأفراد ليحتويها بحذافيرها ، مثله مثل استراتيجية اللعبة التي تستغرق المهتمين بها ، وتنسج حولهم عالما جديدا بمعزل عن انشغالاتهم اليومية في حياتهم الخاصة ، بحيث تصبح اللعبة أو التجربة الفنية كحلم يجتث الأفراد من واقعهم وتجاربهم المعيشة ، ويدخلهم في متاهات عالم استغرابي . (9)

لكن بنية الفهم التي يحللها غادامير بإسهاب ، لا يمكن أن تغفل " ما قبل " الفهم الإطار النظري والعملي ، الذي يتموقع فيه الإطار " الافتراض المسبق " .بينما كان هذا الأخير عنصرا مبهما ، يعيق البداهة في عصر الأنوار ، يرتد في الفكر التأويلي الغادامري ، عنصرا فعالا في الفهم التأويلي ، فقبل أي تاويل أو رصد للمعنى يحتمله النص أو الأثر ، تتشكل هندسة قبلية تضع هذا النص أو الأثر في سياق خاص وضمن منظور معين ، تعبر عن السيلان أو التدفق اللانهائي للمعاني ،التي تتجه من الوعي إلى الموضوع (النص/ الآثر) .

ويعتبر غادامير المنظر الغربي بلا منازع لقضايا التأويل ، ولتجارب الفهم والحوار واللغة الحية .قدم رسالته الجامعية حول التجربة الجمالية عند أفلاطون .وقراءاته

لأفلاطون النقدية لشليرماخر ودلتاي وعصر الأنوار ، ولقاؤه الشخصي المعرفي بهيدجر، وحواره النقدي مع هابرماس ودريدا وفلاسفة التحليل ، كلها عوامل سمحت له بأن يتميز عن غيره بتجربته التأويلية ممارسة وتنظيرا .ولعل المنعطف الهام والتاريخي والمعرفي، الـــذي ســـجله غادامـــير في تاريخ فن التأويل هو إصداره سنة 1960 لكتابه الشهير : " الحقـــيقة والمنهج : الخطوط الكبرى لفن التأويل الفلسفي " .تناول فيه تفاعل المستويات الكبرى للتجربة التأويلية ، والمتمثلة في اللغة وعلاقتها بفاعلية الحوار ضمن نسيج لغوي حي ، والتاريخ كبعد أساسي من أبعاد " الوعي التاريخي " و " الجمال " كلحظة تأويلية وتجربة انطولوجية ، تتجلى فيها فاعلية الفهم ن وفهم القصد المباشر للمؤلف في علاقة حوارية . (10)

ويمكـــن القـــول مع ذلك ، بأنه في المرحلة المبكرة من فكر غادامير الشاب – في عشرينات القرن العشرين – قد تشكلت التوجهات الأساسية لفلسفته الهرمينوطيقية ، جنبا إلى جنب مع أدواته وخلفيته الفكرية ممثلة في دراسته لفقه اللغة ومعرفته الوثيقة بالثقافة والتراث اليوناني ، بما ينطوي عليه من فلسفة وفن وأساطير ، على نحو ما نلحظ ذلك في دائمـــا في محاولاته الدؤوبة لرد المفاهيم والمصطلحات في الثقافة الغربية إلى اصولها اليونانـــية أو ينابـــيعها البكر .وهو اتجاه في التفكير نجد له إرهاصات قوية عند هيدجر أيضا.

ولا شك أن هناك مصادر أخرى عديدة ، قد أثرت في فكر غادامير وفي أسلوب التفلسف لديه،فلقد استوعب القضايا التي أثارها هيجل حول الحقيقة والدور التاريخي للفن، وإن كان قد تجاوز تماما أطروحات هيجل .

ويعـــد التيار الظاهراتي لدى هوسرل وأتباعه من أهم المصادر ، التي أثرت بعمق في فلسفة غادامير .حتى إنه كانت له صلات فكرية مثمرة ببعض منهم من مثل : نيكولا هارتمان .ولكن ما من شك في أن هيدجر كان له التأثير الأعظم على فلسفة غادامير ،

بحيث أنه يمكن القول بأن فلسفته قد اتسمت بطابع فينومولوجي على طريقة هيدجر ، كما تشكل عقله بعمق من خلال محاضرات هيدجر في ماربورج في أوائل العشرينات ، وظل منذ ذلك الحين مولعا بهيدجر . (11)

هـناك فكرة أساسية تكشف عنها الهيرمينوطيقا لدى غادامير ، وهي أننا من خلال التفسـير يتكشف لنا لا نهائية الفهم الإنساني ، وأنه ليس هناك ذلك الفهم ، الذي يبلغ حد اليقين أو الاكتمال ، فالفهم يبقى دائما فهما مفتوحا أو تحسين متواصل لمعرفتنا بالعالم . ولا شك أن كتابه المعنون بهذه التورية البليغة "مهرجانات التفسير"

يسير في سياق لا نهائية الفهم والتفسيرات المفتوحة على أوجه مختلف النظر؛ ففي مقـالات الكتاب : تجلي الجميل – الطابع الاحتفالي للمسرح – الخبرة الجمالية والخبرة الدينية – نجد غادامير في هذه المقالات وغيرها ، يستخدم مفهوم المهرجان أو الاحتفال ، ليشير إلى خبرة الجماعة المفتوحة على أصعدة شتى من الفهم . (12)

تكشف أعمال الفيلسوف " بول ريكور " عن تأثره بالوجودية والفونولوجيا والبنائية ، وإن كان اسمه ارتبط ارتباطا بالاتجاه التأويلي أو الهرمينوطيقي .وقد اهتم اهتماما كبيرا بدراسـة وتقديـم فكـر الكثيرين من الفلاسفة السابقين عليه ، لدرجة أنه كثيرا ما كان يخصـص أثناء تدريسه بالجامعة سنة كاملة، لتقديم فكر فيلسوف واحد فقط من الفلاسفة الذيـن تأثر بهم من أمال : هيدجر ، وهوسرل ، وياسبرس . ومع ذلك فإن كتاباته تتميز بالأصـالة والـتجديد ، الناجمين عن موقفه النقدي من أعمال الآخرين ، كما تغطي هذه الكـتابات مجالات متنوعة تتراوح بين الدراسات الفلسفية والاجتماعية والدينية والثقافية العامة ، بل إن بعض المقالات التي كتبها أثناء رئاسته لجامعة نانتير ، تعرضت لمفارقات القـوى السياسـية والعلاقة بين الدولة والمواطن ، وبين الحياة والفن واكتشاف مناطق الالتقاء بين الدين والفلسفة .

كـــان مولـــد بـــول ريكور في " فالانس " بغرب فرنسا في 27 من فبراير من عام 1913 .ومع أنه تجاوز الثامنة والثمانين ، فإنه لا يزال نشيطا ومنتجا بنفس القوة والقدرة والدقـــة تقريـــبا .وقـــد اشـــتغل بعد تخرجه في جامعة باريس عام 1937 بالتدريس في المدارس الثانوية .حتى شارك في الحرب العالمية الثانية ن ووقع أسيرا في أيدي القوات الألمانـــية ، وظـــل في المعتقل من عام 1940 حتى نهاية الحرب ، وما بعدها عمل في المركـــز القومي للبحث العلمي بباريس حتى عام 1948 ، ثم انتقل ليعمل أستاذا بجامعة ستراســـبورغ ، ثم شغل بعد ذلك بناء على طلبه منصب العميد لجامعة باريس العاشرة ، المعـــروفة باسم نانتير التي لعبت دورا كبير ا في أحداث في أحداث الطلاب عام 1969 .وقـــد دفعته تلك الأحداث إلى الاستقالة من منصبه ، لكي يعود بعدها إلى نفس الجامعة كأستاذ متفرغ ، وفي الوقت ذاته تم تعيينه أستاذا غير متفرغ بجامعة شيكاغو .

وقـــد تأثر منذ أيام دراسته بتفكير جابرييل مارسيل ، الذي كان يقود تيار الوجودية المسيحية ، كمقابل لوجودية جان بول سارتر ، كما تأثر بتفكير ياسبرز، وبالفينومولوجيا الألمانية " هوسرل وهايدجر " .

إن المشروع الفلسفي لريكور ، يوجد في خط الفلسفات التأملية ، كما انه يتموضع فـــي امـــتداد حـــركة الفينومنولوجيا الهوسرلية ، وهو يريد أن يكون تعبيرا تأويليا لهذه الفينومولوجيا ، يتجاوز إخفاقاتها في الطموح إلى شفافية كاملة للذات مع نفسها .

كمـــا أن هذا المشروع يوجد أيضا على خط أنطولوجيا الفهم الهايدجرية ، غير أنه خلافا لهايدجر ، لا يريد أن يسلك لذلك طريقا مباشرة ، وإنما يسعى إلى بلورة مثل هذه الانطولوجـــيا عـــبر الحـــوار مع الحصيلة المنهجية والنظرية ، التي يتوفر عليها الفكر الفلســـفي ، أي عـــبر ابستمولوجيا للتأويل .وأخيرا فإن هذا المشروع ، يسعى إلى إقامة انثروبولوجـــيا فلســـفية ، تمســـك بالإنسان في كليته ، أي من جهة ما هو عارف وفاعل ومنفعل .

وهكـــذا فإننا إزاء لافتات مختلفة ، يمكن أن تكون عنوانا لمشروع واحد، هو تشييد التأويل داخل الفينومولوجيا، أو بلورة انطولوجيا للفهم من خلال ابستيمولوجيـــــــــــا للتأويل. (13)

هكـــذا يظهـــر تأثير جابرييل مارسيل في اهتمامات ريكور بالكتابة عن المشكلات الدينـــية واللاهوتـــية ، كما يظهر تأثره بالفينومولوجيا ومشكلات التفسيرات في اتجاهه الهرمينوطيقي . وهذا ما يؤيده أحد المهتمين بدراسة فكر ريكور إذ يقول ، إنه كان خلال كل حياته الفكرية يهتم بمشكلة الذات الإنسانية الفاعلة ، أو الشخص الإنسان الفاعل وأن الدافع الأساسي وراء أعماله الفلسفية ، كان هو الاقتناع الوجودي بأن الوجود الإنساني له معـــنى، وأنـــه بصـــرف النظر عن وجود الشر والألم والاستعباد (أو عدم الحرية) ، فالمعـــنى والوجـــود هما الطرفان اللذان يلخصان مشروعه الفلسفي ، مما يعني أن فكره الفلســـفي فكـــر وجودي إلى حد كبير لأن موضوعه هو الوجود الإنساني ، كما انه فكر فينومولوجي تأويلي بفضل المنهج ، الذي يتبعه في حل وفك وتفسير طلاسم " العلامات"، التي تستخدم في التعبير عن نظرتنا وتصورنا بل رغبتنا في وجود تلك العلامات.

غير أن هذا لا يعني تعليق ذاتية كاتب النص أو مؤلفه فحسب ، بل إننا إزاء النص نقـــوم بتعليق ذاتيتنا أيضا ، أي ذاتية القارئ ، وذلك باندماجنا في العالم الذي يفتحه لنا الـــنص وبتملكـــنا لأشـــياء ، وأخيرا بتحقق ذواتنا من خلال فعل القراءة والتأويل ذاته ، وبتعبـــير آخر ، فإن الاندماج في عالم النص يزحزح الذات من موقعها الوهمي ، الذي يقوم على ادعاء تملكه – أي النص – بالانفصال التام عنه، أي من موقع الغرابة الأصلية عليه – غير أن هذا يجب أن لا يؤدي بنا إلى استبعاد مفهوم المسافة .بل إن علينا إقامة علاقة تكامل جدلية بين اتخاذ المسافة وبين تحقق الذات عبر فعل القراءة .(14)

وتمـــثل مشـــكلة الإرادة موضـــوعا محوريا في الفكر الوجودي والفينولوجي على السواء.ولذا كان ريكور يوليها أهمية كبرى منذ أوائل إنتاجه ، بحيث كان يعتزم تكريس

عمل ضخم لدراسة المشكلة ونتج عن ذلك كتابه " فلسفة الإرادة " ، ووجه اهتمامه إلى تعـرف الوجـدان وبـرز ذلـك في كتابه " الإنسان المعرض للخطأ"، وهو دراسة في الانثروبولوجية الفلسفية ، ومن بعده كتابه عن رمزية الشر ، الذي يعتبره البعض البداية الحقيقية لاهتمامه بالهرمونيطيقا ، أو بالأحرى البداية الحقيقية لمسيرته في ذلك الطريق ، التي بلغت ذروتها في كتابه " التفسير : دراسة عن فرويد " ، وقد ظهر عام 1965 وتمت ترجمـته إلى الإنجليزية عام 1970 تحت عنوان " فرويد والفلسفة " .ويعتبر ريكور هذه الهرمينوطـيقا نوعـا من التأويل الإركيلوجي " ، لأنها تنقب عن الماضي للكشف عن المعانـي التحتـية البدائـية والمختفية وراء الأغراض المدركة شعوريا ، والدفينة تحت المظاهـر السـطحية وذلك على العكس تماما من هرمينوطيقا الإيمان ، التي تتجه نحو المظاهر ذاتها لمعرفة قدرتها على الكشف وليس على الإخفاء ، فهي تهدف إلى الكشف عن ما يعنيه صاحب النص في الحقيقة حتى وإن يفصح عنه بوضوح .

إن اتخـاذ المسـافة من الموضوع يجب أن يصبح شرطا للتأويل ، ومكونا رئيسيا للوجـود من أجل النص ، أي للإصغاء لما يقوله النص .واتخاذ المسافة هذا ليس مجرد إجراء خارجي ، تقوم به الذات القارئة ، كما أن المسافة ليست مجرد ابتعاد زمني ثقافي عن النص ، بل إنها تقوم داخل النص نفسه ، وذلك بين لغة زمان ومكان محددين ، أي بين لغة تاريخية وعارضة وبين معنى ، يفتحنا على عوالم دائمة التجدد وقابل للاستعادة التأويلية ضمن شروط مغايرة .وهكذا فإن المسافة ولدت مع اللغة ذاتها ، كما أن معاصر نص ما يخدع نفسه ، حين يتوهم أنه في موقع محظوظ من هذا النص ، بالنسبة لمؤولي العصور اللاحقة .

وبهـذا المعـنى ، فإن اتخاذ المسافة متضمن ،أو أنه داخل في تكوين عملية تثبيت المعاني عن طريق الكتابة ، وفي كل الظواهر المشابهة المتعلقة ببث الخطاب ، فالكتابة إذا ليسـت مجـرد تثبيـت مـادي للخطاب ، ولكنها شرط لظاهرة أساسية أعمق ، هي استقلالية النص وهو استقلال ذو أوجه ثلاثة : (15)

1 – فهو استقلال تجاه قصد الكاتب .

2 – وهو استقلال تجاه الوضع الثقافي ، وتجاه كل الاشراطات الاجتماعية .

3 – وهو أخيرا استقلال تجاه المرسل إليه أو تجاه المتلقي الأول .

فابتداء ، ما يقوله النص وما يعنيه لا يوافق ما يريد كاتبه قوله ، وهذا لا يعني أن الأشياء التي يقولها النص ، تفلت من الخضوع لعالم مقاصد الكاتب ونياته كما سبق .بل أن عـــالم الـــنص يفجر عالم كاتبه .وما يصح بالنسبة للمحددات السيكولوجية للمؤلف ، يصح أيضا بالنسبة للشروط الاجتماعية لك أن خاصية أي عمل – فني أو أدبي أو غيره – هي أن يجاوز إشراطات وسياقات إنتاجه ، لكي يندرج ضمن سياقات أخرى . (16)

اتجـــه " امـــبرتو إيكـــو " في السنوات الأخيرة ، نحو إعادة صياغة مجموعة من الإشـــكالات الخاصـــة بقضايا تأويل النص الأدبي .وقد قدم في هذا الشأن مجموعة من الدراسات المتميزة ، كان آخرها كتابه " التأويل والتأويل المضاعف " – 1986، دعامته في ذلك وزاده المعرفة الجديدة ، التي جاءت بها السيميائيات وأشاعتها من خلال نماذجها الراقـــية .والذين صحبوا هذا الباحث في رحلته الفكرية الخصبة ، يدركون جيدا أن هذه الصياغة تعود في أصولها الأولى والأساسية إلى التراث الذي خلفه السيميائي الأمريكي " تشـــارل .ســـندريس .بورس " ، وخاصة فيما يتعلق منه بسيرورة إنتاج الدلالة واشتغال العلامات .ف"المتناهي " ، و" اللامتناهي " ، و" النمو اللولبي للعلامة " ، و"حركية الفعل التدليلـــي" و " السيميوزيس " ، كلها مفاهيم تقودنا إلى وضع أسئلة ، تخص حجم التأويل وكثافته وأبعاده وأشكاله .

وفي كتاباته يعيد امبرتو إيكو صياغة قضايا التأويل ، مركزا على معطيات تطبيقية عرفت بانتمائها إلى ما يطلق عليه بالتفكيكية أو التأويل المضاعف ، وأخرى تدرج نفسها ضمن ما يطلق عليه إيكو بالسيميوزيس التأويلية

وحول هذين المحورين تدور جل كتاباته وإليهما تستند مقترحاته الجديدة . (17)

ينطلق إيكو ، في معالجته لقضايا التأويل ، من تصور بالغ الأصالة والعمق، تصور يرى في التأويل وأشكاله صياغات جديدة لقضايا فلسفية ومعرفية موغلة في القدم .فمجمل التصـــورات التأويلـــية التي عرفها قرننا هذا ، لا تفسر إلا بموقعها من " الحقيقة " كما تصـــورها الإنسان وعاشها ، وصاغ حدودها أحيانا على شكل قواعد منطقية صارمة ، وأحيانا أخرى على شكل إشراقات صوفية واستبطانية، لا ترى في المرئي والظاهر سوى نســـخ لأصـــل لا يدركه الحس العادي ولا تراه الأبصار.فالتأويل لا يتعلق بما يقال في الـــنص أو حوـــله، بل يجب البحث عن تفسير عما هو أعمق .ويتعلق الأمر بالعودة إلى وقـــائع لهـــا علاقة بموقف الإنسان من العالم والله والحقيقة المعرفة ، وبناء الحضارات وتأسيس المدن وتعيين العواصم وتخوم الامبراطورات وتعدد اللغات والثقافات .

ومن أجل ذلك يقودنا إيكو في رحلة فكرية داخل دهاليز التاريخ والأساطير والفلسفة والمنطق والحركات الصوفية والباطنية ، بحثا عن جذور خفية لكل أشكال التأويل ، التي مورســـت وتمـــارس حالـــيا على النصوص ، ليقف عند حالتين يرى فيهما أرقى شكلين عرفهما التأويل من حيث المردودية والعمق والتداول : (18)

- حالة أولى ، يكون فيها التأويل محكوما بمرجعياته وحدوده وقوانينه وضوابطه الذاتية .
- حالة ثانية ، يدخل فيها التأويل متاهات لا تحكمها أية غاية ، فالنص نسيج من المرجعيات المتداخلة دعا

إيكو إلى " التأويل والتأويل المضاعف " ، على اعتبار أن التأويل في ذاته ليس في حاجة إلى من يدافع عنه ، فهو معنا في كل لحظة ، إلا أنه لا يثير اهتمامنا إلا حين يبلغ حـــدوده القصـــوى ، شـــأنه في ذلك شأن كل الأنشطة الثقافية الأخرى ، فلا جدوى من التأويل المعتدل – ذاك الذي يعبر عن نوع من الإجماع – إن على المترجمين والنقاد في هذه الحالة أن يمارسوا ضغطا تأويليا لا هوادة فيه ، وأن يطلقوا العنان لأفكارهم تجوب كل الآفاق .

الترجمة والتأويل المعاصر – الهرمينوطيقا –

يمكـــن أن نحصـــي بعـــض المفكريـــن المعاصرين ، الذين عنوا بإشكالية " علاقة الترجمة بالتأويل " من مثل : المترجم الألماني فالتر بنيامين ، ومارتن هيدجر ، وهانز جورج غادامير ، والفيلسوف الفرنسي جاك دريدا ، والمتفلسف الأمريكي اندريو بنجمان، والمترجم الفرنسي انطون برمان .فلننظر فيما جاء به كل واحد من آراء خاصة ، ولنبين الطرق التي سلكوها في الجمع بين التأويل والترجمة .

لقد عرض " بنيامين " نظريته في الترجمة في مقالته الشهيرة " مهمة المترجم"، التي افتـــتح بهـــا ترجمته لديوان " بودلير " : اللوحات الباريسية ، والتي تميزت بالتعمق في أفكارهـــا والتنوع في إشاراتها .وتبدأ هذه المقالة باطراح أشهر نظريات الترجمة ، التي ســـادت قـــبله وهي ثلاث : نظرية التلقي ، التي تجعل قيمة الترجمة متعلقة بمدى قيامها بحاجـــات المخاطبيـــن بها العلمية أو التقنية .ونظرية التبليغ ، التي تجعل هدف الترجمة محصـــورا فـــي نقل الخبر ، الذي ينطوي عليه الأصل .ونظرية التصوير ، التي تجعل الترجمة عبارة عن استنساخ للأصل ؛ وبعد أن وضح بنيامين أن مقتضى الترجمة ، ليس هـــو مقتضـــى التلقـــي ولا التبليغ ولا التصوير ، اعتمد في توضيح الجانب البنائي أو الإيجابي من نظريته في الترجمة مفهومين طريفين هما : البقاء ، واللغة الخالصة .

وتمكن بنيامين بفضل هذين المفهومين ، من الجمع بين الترجمة والتأويل ، إذ يجعل الترجمة وسيلة خادمة للمعاني ؛ فالبقاء يزود اللغات بالقدرة على تنامي تناميا لا يتناهى إلا بـــنهاية التاريخ .كما أن اللغة الخالصة ، التي تكشف عنها ممارسة الترجمة ، تنزل منزلة لغة الحقيقة التي يختص بطلبها العقل التأويلي ، وهي اللغة الحقة التي لا تمايز فيها بين المبنى والمعنى . (19)

تـــناول هـــيدجر مسألة الترجمة في مواضع عدة من كتبه ومقالاته الكثيرة ، نخص بالذكر منها كتاب : الوجود والزمان ، والمدخل إلى الميتافيزيقا ، وما المقصود بالتفكير؟،

وفـــي الطـــريق إلى اللغة ، وفجر التفكير اليوناني ، والأسئلة. ويبدو أن لتصور هيدجر للـــترجمة منطلقيـــن أساسيين : أحدهما نظرته إلى اللغة الإنسانية ، والثاني نظرته إلى المصطلحات الفلسفية .

وبناء على هذين التمييزين : التمييز بين اللغة كألفاظ موضوعة وبين اللغة كحقيقة وجوديـــة مستقلة ، والتمييز بين المعنى الأصلي للمصطلح وبين معاني مقابلاته . يفرق هيدجر بين ضربين اثنين من الترجمة : الترجمة التحريفية ، والترجمة التحقيقية .الأولى وهـــي التـــي تقطعنا عن المدلولات الأصلية ، والثانية وهي التي تصلنا بالمعاني العتيقة والأصيلة ، التي حملنها الألفاظ في أصولها اللغوية . (20)

لقد أورد غادامير العناصر الأساسية لموقفه من الترجمة في كتابه الشهير : الحقيقة والطـــريقة ، الذي فيه نظريته في الفهم ، مراجعا النظرية التأويلية التي وضع أصولها شـــليرماخر وديلتاي ، مع التأثر في ذلك بالفسفة اللغوية والتأويلية لـــ "هيدجر " .نحصي عـــند غادامـــير جملـــة موسعة من المفاهيم ، التي يبني عليها تأويلاته منها : التأويل ، الـــتجربة ، التراث ، الجدل ، التاريخ ، الإحداث ، اللعب، القول ، الشيء ، التوضيح ، الاستحضار ، الشعور ، التأثير .ولكن أبرزها مفهومان أساسيان هما : التأويل والحوار

يقـــرر غادامـــير أن كـــل فهم تأويل ، غير أن التأويل عنده ليس استخراجا لمعنى موضوعي وخارجي ، يستقل به النص ، وإنما هو دخول في إنشاء خاص يتجدد به معنى النص ، لأن المؤول لا ينظر في النص النظر المجرد ، وإنما يستمع إليه استماعا حيا ، فيـــتوجه إلـــيه بأحواله الحاضرة ، وتصوراته المكتسبة من غير أن تضر هذه الأحوال والتصـــورات الخاصة في شيء هذا الاستماع ، لأن مصيرها الزوال عند حصول الفهم المطلوب .

ويقرر غادامير أيضا أن كل تأويل هو ذو طبيعة لغوية ، فيكون كل فهم لغويا ، إلا أن اللغة عنده ليست مجرد أداة يتوسل بها الإنسان في التعبير عن أغراض خارجية ، إنما

هـــي أساسا حقيقة حوارية ، يتواجه فيها عالمان لغويان مختلفان ، يصيران تدريجيا إلى الـــتداخل فيما بينهما ، فتنبثق عن هذا التداخل لغة متجددة ، تحمل معاني غير مسبوقة ، وبهذا يكون الفهم في نهاية المطاف عبارة عن تفاهم . (21)

كمـــا أن هيدجر ما فتئ يقلب النظر في مسألة الترجمة في مختلف تآليفه ، فكذلك جعل " دريدا " منها محورا تدور عليه موضوعات كتابته المتنوعة .وتتبني نظرية دريدا، التي يمكن أن ندعوها باسم " النظرية التفكيكية للترجمة " على مفهومين أساسيين ، تأثر في أحدهما بنظرية هيدجر في اللغة ، وهو مفهوم " الاختلاف " ، وتأثر في الثاني بنظرية بنيامين في الترجمة ، وهو مفهوم " البقاء ".

ويفـــيد مفهوم الاختلاف في إبطال القول بوجود معنى جوهري ، أو بنية عميقة أو مضـــمون نووي يحتاج المترجم إلى حفظه أو نقله ، وذلك لأن هذا المفهوم يدخل الفرق فـــي كـــل هويـــة ، والعرض في كل ماهية والغيبة في كل حضور ؛ ولما كان المعنى الجوهري هو عبارة عن ماهية ، تتصف بوصف عقلي هو الهوية وبوصف وجودي هو الحضور ، فقد لزم أن يصرف مفهوم الاختلاف هذا المعنى صرفا ، وأن يجعل الألفاظ دالة على معان تلازمها الفروق والأعراض والآثار .فيكون على المترجم أن يحفظ هذه الفـــروق ، ويكشـــف عـــن هذه الأعراض والآثار .مسترجعا في نقوله المعاني المفقودة ومحييا فيها الإشارات المأصولة ، هذه المعاني والإشارات التي تفتح آفاقا مثمرة ، وطرقا موسعة لممارسة مزيد من التفكير .

ومعلوم أن " بنيامين " قصد بالبقاء قيام الترجمة بمواصلة حياة النص الأصلي ، لكن دريـــدا ذهـــب إلى أبعد من هذا ، فرأى في البقاء صفة ذاتية للترجمة.ويلزم من ذلك أن الـــبقاء الترجمي ، لا ينفع في حفظ النص الأصلي فقط ، بل يجاوز الحفظ إلى أن تكثر بفضله " الدلالات اللغوية " وتتسع عن طريقه اللغات الإنسانية . (22)

تـــناول بدوره " أندريو بنجامين " في كتاباته علاقة الترجمة بالتأويل.وبنجامين، هو أحـــد فلاســـفة اللغة الأمريكيين المعاصرين ، الذين يمثلون ما يسمى بـــ " طور ما بعد عصـــر التـــنوير " ، هـــذا الطور الذي تميز بمراجعة المقولات ، التي كان يأخذ بها " الأنواريون " ، مثل مقولة " العلاقة ، والشمولية ، والتوحد ، والهوية المطلقة ، والتقابل بيـــن الداخـــل والخـــارج ، والتقابل بين المعنى الحقيقي والمعنى المجازي " ؛ وقد جاء بأصول نظريته في كتابه : الترجمة وطبيعة الفلسفة ، متاثرا فيها بأفكار سلفه الألماني " بنياميـــن " في الترجمة ، وبمذهب معاصره الفرنسي " جاك دريدا " في التفكيك ؛ وتبنى هـــذه الأصـــول علـــى تجديـــد النظر في مفهومين اثنين هما : مفهوم الكلمة ، ومفهوم الاستعمال .

لقد جعل بنجامين من الكلمة مفهوما عاما يندرج تحته كل ضرب من ضروب القول، لفظا كان أو جملة أو نصا ، وجعل من أخص صفاته أنه محل تعدد الاختلاف أو التنازع الدلالي .مما يفتح باب اختلاف التأويلات وتنازع الاستعمالات ، وتتفرع على هذا التزاوج بين الجانب الاستعمالي والبدئي من الدلالة نتيجتان هما :

1- أن تقويم التأويل أو الترجمة ن لا يكون بمقابلة التأويل بالنص أو بمقابلة الترجمة بالأصل ،بحثا في أمانتها أو دقتها ، وإنما يكون بالنظر في استلزامات واقتضاءات هذا التأويل الخاص أو هذه الترجمة المعينة .

2- أن المعنى لا يكون بانبثاق عما لم يكن في البدء معنى ، وإنما يكون بتحقق أحد معاني البدء الكامنة في المعنى الاستعمالي ، أو قل إن شئت إن المعنى لا يكون إلا من المعنى لثبوت التعدد الاختلافي .

وعلـــى أساس هذا التجديد في المفهومين : الكلمة والاستعمال ، جاء بنجامين لحل للتعارض بين التأويل والترجمة ؛ فقد تمكن ، بفضل مفهوم الكلمة، من أن يبين كيف أن لفظ " الترجمة " لا يدل على فعل واحد أو معنى واحد ، وإنما على أفعال مختلفة ومعان متعددة . (23)

أمـــا المـــترجم الفرنسي " انطوان برمان " ، فقد عالج مسألة الترجمة والتأويل في كتابه القيم : التعرف على الغريب ، وفي مقالات مختلفة منها مقالته المطولة : "الترجمة والحرف" ، ومقالته الجامعة " الترجمة وخطاباتها " ، وانصبت هذه المعالجة على تأسيس ما أسماه "الترجمات " ، قياسا على "الحفريات" لفوكو و "التفيكات" لدريدا ، جاعلا منها بابـــا مـــن أبـــواب الدرس الترجمي ، معارضا في خصائصه لما أطلق عليه اسم " علم الترجمة " ؛ وتقوم الترجمات عنده على مفهومين أساسيين هما : التجربة والتأمل .

1 – الـــتجربة : يرى برمان أن الترجمة من حيث طبيعتها هي تجربة ، فالمترجم يكابد ويعاني التعارضات التي تتناول مجال الترجمة ، مثل التعارض بين اختلاف اللغات وتشابهها ، والتعارض بين قابليتها لها والتعارض بين استرجاع المعنى واستنساخ المبنى.

2– التأمل : يقول برمان بأن الترجميات هي " تأمل الترجمة في ذاتها انطلاقا من طبيعـــتها التجريبية " مبينا كيف أن التأمل ليس إلا انعكاس التجربة على نفسها انعكاسا ، يـــتم بواســـطة اللغة الطبيعية ، وكيف أن الترجمة لا تستغني عن هذا التأمل ولو أنها قد تستغني عن التنظير .

وهـــذا التأمل يقود برمان إلى الحديث عن ميتافيزيقا الترجمة والتأويل ، مشيرا إلى أن هذا الأمر يتعلق يتوجه المترجم إلى تجاوز تعدد وتفرق الألسن الطبيعية بما فيها لغته الخاصة ، طلبا للغة الحق ، التي توجد في الأفق البعيد لكل لسان.ولا يخفي هنا أثر مفهوم " اللغة الخالصة " ، الذي يكون التوجه الميتافيزيقي للترجمة عبارة عن طلب اللغة الحق ، المصحوب بما يشبه تخريب اللغة الخاصة . (24)

إن وظـــيفة تـــأويل الـــترجمة ، لا تختلف من حيث المبدأ عن وظيفة النقد الأدبي، وتـــتلخص تلك الوظيفة في غربلة النصوص الأدبية المترجمة ، وصولا إلى فصل الغث عن السمين ، والجيد من الردئ .

إن القـــول بـــأن الـــترجمة خـــيانة على حد تعبير المثل الإيطالي ، ففي نظرنا ما يعـــد"خـــيانة " أضحى في عصرنا اليوم يعد " تأويلا " للترجمة ، فإن هذه الترجمة يمكن الخيانة يمكن أن تكون – على حد تعبير روبير إسكاربي أستاذ الأدب الإنجليزي بجامعة بوردو في فرنسا – " خيانة خلاقة " أي خيانة للأصل في بعض ما جاء ، وإضافة جديدة لـــم تطرأ على ذهن المؤلف الأصلي .ولا يغرب على البال كم كانت ترجمة جيرار دي نرفال لمسرحية " فاوست " خلاقة حتى في نظر " غوتة " نفسه ، وهذه هي الحال بالنسبة لترجمة الشاعر الفرنسي مالارميه لبعض روائع الشعر الرومانسي الإنجليزي ، وترجمة المنفلوطي لروايات ألفونس كار ، أو ترجمة إدوارد فيتزجيرالد لرباعيات الخيام .فالخيانة الخلاقة هي أقصى ما يمكن أن ينتظره المتلقي من نص نقل إلى لغته ، إذا كان يريد أن يتمثل ما لا يستطيع قراءته في صيغته الأصلية .

وفـــي هذا السياق لا شك أن الترجمة قد تفوق أدبيا العمل الأصلي . ومثلا فطوال أكثر من قرن ظل أحسن الكتاب والنقاد في فرنسا يرفعون " إدغار الن بو " إلى مرتبة في الشـــعر دون المرتبة التي يضعه فيها النقاد والكتاب الناطقون بالإنجليزية .ولعل أبرز ما يمـــيز " بـــو " وزنه الشعري الشعبي المفضل ، وهو وزن شعبي غير قابل للترجمة إلى الفرنســـية .ونستطيع أن نعلل إعجاب بودلير به، يكون الترجمة قد أسقطت طريقة النظم الإنجليزية ، مما جعل بودلير ، يحسب أنه يقرأ شعرا أحكمت موازينه كالشعر الفرنسي ، وأن يسمع فيه لطافة في النغم لا يعلم كنهها إلا الله .

إن العمـــل المـــترجم هـــو محصلة ثقافية جامعة، التقى فيها إبداع المؤلف ومفهوم المترجم، في ضوء خبرته باللغتين : الأصلية والمستهدفة وفي إطار ثقافته .ومن هنا فإن المترجم الدبي لا ينحصر في عملية إيجاد ألفاظ بديلة عن النص الأصلي، بل يتعدى ذلك إلـــى الـــتأويل والتأثير الذي يفترض في المؤلف ، قد صح عزمه على إحداثه في نفس المتلقي، فالمعرفة اللغوية هنا ضرورية ، بيد أن استيعاب جو النص وما يرتبط به يدفعه

إلـــى أن لا يقتصـــر على تقديم المعنى فحسب ، ولكنه ينشئ من الألفاظ التي يستخدمها والتراكيب التي يبنيها قناة تواصل للوصول إلى عقل المترجم ، وعوالم من التأويلات ، بطـــريقة مـــا لإعـــادة إنتاج التأثيرات الراقية.فالترجمة تحدث توترا مستمرا ، أي جوا للمناظرة والتأويل بناء على متطلبات كل لغة .فالمترجم الذي عرف آفاق النقد ، وفروع علـــم اللغـــة ، وكانت له خبرة حقيقية بالآداب وصنوف البلاغة ، وكون لنفسه آلية فهم التـــيارات الثقافية المختلفة، هذا المترجم مثال حي لعملية الترجمة ،ودوره فعلا قائم على تشـــكيل بناء شامل ، لا يقل شأنا عن عملية التأليف الأولى التي قام به المبدع الأصلي ، ومن هنا لابد للمترجم أن يلجأ إلى التأويل والتفسير ، وهنا تعظم مهمة المترجم أكثر.لأن نقل أفكار الآخرين أعسر من التعبير عن فكرة جديدة . (24)

الهوامش

1 – ابن منظور : لسان العرب المحيط ، الجزء 11 ، دار صادر بيروت ، ص : 32

2 – محمد مفتاح : مجهول البيان ، دار توبقال ،المغرب – 1990 ، ص : 90 ، 91

3 – محمد شوقي الزين : الفينومينولوجيا وفن التأويل ، مجلة فكر ونقد ، المغرب، العدد 16 ، فبراير –1999 ، ص : 75 ، 76

4 – بول ريكور : البلاغة والشعرية والهيرمينوطيقا ،ترجمة مصطفى النحال ، مجلة فكر ونقد ، المغرب ، العدد 16 ، فبراير – 1999 ، ص : 113

5 – سعيد توفيق : مقالات في الظاهراتية وفلسفة التأويل ، دار النصر للتوزيع والنشر ، مصر _1999 ، ص:55

6- F. schleidrmacher : Herméneutique , Labor et fides.1987 . P : 77

7 – Dilthey : Le monde de l'esprit , 1 , P : 150

8 – H.G .Gadamer : la philosophie herméneutique , P.u.f. Paris . 82

9 – محمد شوقي الزبن: الفنوميلوجيا وفن التأويل ، مرجع سابق ، ص : 79

10 – هانس ،ج ، غادامير : مدخل إلى أسس فن التأويل ، تقديم وترجمة محمد شوقي الزين ، مجلة فكر ونقد مرجع سابق ، ص: 85

11 – سعيد توفيق ، مقالات في الظاهرتية وفلسفة التأويل ، ص : 50

12 – سعيد توفيق : الخبرة الجمالية ، دراسة في فلسفة الجمال الظاهرتية ، المؤسسة الجامعية لدراسات والنشر والتوزيع بيروت – 1992 ، ص 74

13 – P .Ricoeur : Le conflit des interprétation . Seuil 1969 .P : 10

14 – Ricoeur : Du texte à l'action . Seuil 1986 . P : 170

15 – المرجع السابق ، ص : 366

16 – حسن بن حسن: النظرية التأويلية عند ريكور،دار تينمل ، مراكش–1992ص: 47

17 – سعيد بنكراد – مقدمة كتاب امبريتو إيكو ، التأويل بين السيميائيات والتفكيكية .المركز الثقافي العربي ، الدر البيضاء ، بيروت 2000 ، ص : 10 .

18 – امبرتو إيكو : التأويل بين السيميائيات والتفكيكية، ترجمة سعيد بنكراد ، ص : 86

19 – W.Benjamin : La tache du traducteur dans mythes et violence 1 , tradution de Gandillac .M , edit .denoel , Paris , 1971 . P : 266

20 – M. Heidegger : introduction à la métaphysique , trad de G.kahn , edit Gallimard , Paris , 1968 .P : 25- 30

21 – H.G. Gadamer : vérité et Méthode , edit , du seuil , Paris , 1976 , P : 235 , 247

22 –j .DerriDa : Marge de la philosophie , Minuit, Paris , 1972 . 3 –29

23 – طه عبد الرحمن : فقه الفلسفة – الفلسفة والترجمة – المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء بيروت – 1995 ، ص : 115 ، 116

24 – محمد عناني : فن الترجمة ، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان – 1996 ، ص : 4